الملتقى الوطني "الحراك الاجتماعي والاقتصادي في مدينة عنابة

في الفترة الحديثة والمعاصرة".

جامعة باجي مختار عنابة يوم 2023/12/02

مداخلة من إنجاز الدكتور **مُحَمَّد أوجرتني**

عنوان المداخلة:

"الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1832 وانعكاساته من خلال

كتابات قادة الاحتلال، مذكرات الجنرال دارماندیي والجنرال كورنيلي نموذجان".

البريد الاليكتروني:**m.oudjertni@gmail.com**

مؤسسة العمل: **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.**

ملخص المداخلة:

يعد احتلال مدينة عنابة سنة 1832 بمثابة نكبة سياسية شاملة ألقت بظلالها على منطقة بايلك الشرق كله لما أفرزه من نتائج وما تسبب في سقوط هذه الجهات بيد قوة الاحتلال ومنها قسنطينة سنة 1837، ولا يزال البحث التاريخي لهذه الأحداث بحاجة إلى قراءة شاملة للكتابات المعاصرة لها خاصة تقارير ومذكرات قادة الاحتلال، وفي هذا الشأن أتقدم بمساهمة للمشاركة في الملتقى تدور حول مذكرات الجنرال الفرنسي دارماندیي : **Les Mémoires de M. le général d'Armandy. La prise de bone en 1832.**، والجنرال كورنيلي : **La Prise de Bône et Bougie, le général comte de Cornulier Lucinière**

ومن خلال ما تضمنته المذكرتان يتبين أن كلا الضابطين شاركا في حماة احتلال مدينة عنابة سنة 1832 وأن تحليلهما للأوضاع والوقائع يحمل الكثير من القضايا التي تتعلق بالاحتلال والواقع الاجتماعي والاقتصادي.

تمهيد:

يعد احتلال مدينة عنابة سنة 1832 بمثابة نكبة سياسية شاملة ألقت بظلالها على منطقة بايلك الشرق كله لما أفرزه من نتائج وما تسبب في سقوط هذه الجهات بيد قوة الاحتلال ومنها قسنطينة سنة 1837، ولا يزال البحث التاريخي لهذه الأحداث بحاجة إلى قراءة شاملة للكتابات المعاصرة لها خاصة تقارير ومذكرات قادة الاحتلال، وفي هذا الشأن أتقدم بمساهمة للمشاركة في الملتقى تدور حول

مذكرات الجنرال الفرنسي دارماندييي : **Les Memoires de M. le général d'Armandy. La prise de bone en 1832.**، والجنرال كورنيلي : **La Prise de Bône et Bougie, le général comte de Cornulier Lucinière**

ومن خلال ما تضمنته المذكرتان يتبين أن كلا الضابطين شاركا في حماة احتلال مدينة عنابة سنة 1832 وأن تحليلهما للأوضاع والوقائع يحمل الكثير من القضايا التي تتعلق بالاحتلال والواقع الاجتماعي والاقتصادي.

مكانة بونة في التاريخ الحديث

سميت عنابة في القديم بهيبون وقد أسسها الفينيقيون الذين قدموا سواحل البحر المتوسط خلال القرن 12م، وبعدها استولى عليها الرومان وسموها بـ"هيبوريجيوس" وكانت بونة فيما قبل الميلاد على علاقة طيبة بقرطاج، تعرضت المدينة في القرن الثالث قبل الميلاد لاحتلال النوميديين بزعامة غايا قائد قبيلة الماسيلي البربرية ثم دخلها الرومان بعد نكبة قرطاجة سنة 146ق م. ودخلها الرومان وبنوا فيها العديد من القلاع والأبراج والجسور وطرق المواصلات والأديرة، كما أدخلوا بها الدين المسيحي.

وتعرضت المدينة في عام 431م للغزو الوندالي الشمالي، ثم قام جوستينيان الامبراطور البيزنطي بطردهم منها، حتى مجيء الفتح الإسلامي سنة 697 ودخلها الفاتحون العرب واطلقوا عليها اسم عنابة.

وتعد مدينة عنابة التي اطلق على تسميتها "بونة" من أكثر المدن الساحلية الشرقية ازدهارا وثراء بفضل موقعها الاستراتيجي الساحلي، الذي يمكنها من لعب أدوار اقتصادية وسياسية مرموقة، وقد حاولت مختلف الدول السابقة للفترة العثمانية بسط نفوذها على المنطقة خاصة السواحل الشرقية من بونة التي تملك موقعا هاما وتزخر بمختلف الثروات الطبيعية الغابية والبحرية والصخرية كما تتوفر المنطقة على بيئة تجارية متنوعة بفضل نشاط سكان المنطقة والقبائل المختلفة التي تسكنها حيث تعتمد على التبادل التجاري كمورد أساسي للحياة فضلا عن النشاط الرعوي والفلاحي، ومن الموارد التي كانت تتبادل بها الجلود والأصواف والشمع والمنتجات الخشبية والألبان والزيوت والمواد الزراعية المجففة.

ويزخر تاريخها الحديث بعدة أحداث وصراعات تعرضت لها المدينة بحكم موقعها الاستراتيجي واحتوائها على مقومات اقتصادية كبيرة، حيث كانت ساحة وميدان تنافس بين السكان المحليين والغزاة الأجانب في الفترة الرومانية والبيزنطية ولعبت دورا كبيرا في حركة الفتح الإسلامي وتعرضت المدينة للنفوذ العسكري للدويلات الإسلامية التي قامت بإفريقيا وبالمغرب الأوسط.

وكانت المدينة تقف بحكم موقعها الساحلي في رأس الحربة في مقاومة العدوان الأجنبي وتحمي المدن الداخلية الأخرى مثل قسنطينة وميلة1 .

---

1 – سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، ماجيستير في تاريخ الأدب، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص 25.

وعرفت المدينة هجرة عدة جماعات بشرية إليها خاصة مع الفتح الإسلامي من عرب تميم ومن الاغالبة، وسكن المدينة على مر الفترة السابقة لمجال الدراسة قبائل عديدة منها السيبوس ومرداس وبني مراد وكرفو وكرازة وتقطن الجهات الغربية منها قبائل كتامة العريقة، وقد كتب في هذا المجال الباحث والمؤرخ الفرنسي كاريت في كتابه " ابحاث ودراسات حول اصول القبائل الجزائرية 1840-1842" وقد اعتمد كاريت على المؤرخين المسلمين الذين ذكرهم امثال ابن خلدون والبكري والجغرافي الادريسي"، وفي القرن العاشر الميلادي عرفت المدينة هجرة قبائل بني هلال اليها مما زاد في تجذر اللسان العربي في هذه الجهات، ولا تزال قبائل هلالية كثيرة تتميز وسط النسيج العمراني المتباين منها قبائل الخوالد والتريعات والشداديون جنوب بونة، ودريد والجنادلة والحرازلة من بطون بني هلال أيضا في الشرق، والشعانبة وبنو عامر.

كما نالت عنابة حظا كبيرا من هجرة الأندلسيين بعد سقوط غرناطة في 1492 وادخلوا اليها الكثير من الفنون والصناعات الفنية والكمالية.

ومن أبرز النخب التي ظهرت بعنابة خلال العهد العثماني وارتبط اسمه بها وصور من خلال أدبه وكتاباته الزاقع الثقافي والسياسي والفكري للمدينة خلال العهد العثماني الشيخ أحمد بن ساسي البوني صاحب المنظومة المسماة "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة"2.

وكان الهدف الذي وضعه مؤلفها منها تخليد ذكر أقرانه من العلماء والفقهاء في التاريخ، وتحتوي المنظومة نحوا من ألف بيت، ذكر فيها علماء بونة وأساتذتها وعلماء القرى المجاورة، والعلماء الواردين على بونة3، وقد حوت القصيدة صورة كالحة عن الأوضاع الداخلية، وذكر بعضهم أن كتابه كان بطلب من بعض أصدقائه حيث ذكر:

لِذَاكَ رامَ مِنّي بعضُ الأذكياء تَوَسلاً بذِكرِ بَعضِ الأزكياء

فجـئْتُهُ "بدُرَّةٍ مَصوُنّهْ" ذَكَرْتُ فِيـهَا أوْلياءَ بُونَهْ

لَكن بلا طولٍ وَلاَ تاريخ لضيق نَظمِي بِهِم صَربخِي

وصور فيها الوضع الثقافي الرديء الذي عاشته المدينة وساهم فيه الشعراء والمتكلمون والفقهاء والسلطة التركية الحاكمة حيث يقول:

والآن يَلْحَنون فوقَ المنبـرِ لا يقبَلونَ النّصْحَ حَتّى مِنْ بَري

وكُتِبَ الجَهلُ على جباههم اليَومَ يخْتَمُ على أفـواهِهِمْ

لَيتَ الجُدودَ نظَروا إلَيْهِمْ ولَوْ رَأوْهُم لَبكوا عَليــهِمْ

---

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، المرجع السابق، ص 365.

3 – علق على القصيدة الباحث الجزائري ابن أبي شنب في "التقويم الجزائري" سنة 1913،

ويتبين من خلال هذه الأبيات أنَّ مدينة بونة في القرن الحادي عشر الهجري، عَرَفَت انحطاطاً فكريا وأخلاقيا لا نظير له، من ملامحه جهل العلماء والفقهاء والنخب، ورفضهم أي محاولات النصح والإصلاح والتغيير، وضمّن البوني قصيدته طلبا لأحد القادة الأتراك، بعدما علا شانه في الدولة لعله يتذكر المدينة بخير فيسير لها من يصلح حالها وهو الداي مُحَمَّد "بكداش" الذي ارتقى إلى منصب باشا الجزائر، حيث قال:

يا حاكَم الـجَزائر يا أنْس نَفْس الزَائرِ
أريـدُ أنْ أخْـبركُمْ أدَامَ رَبَّـي نَصْرُكُمْ
بحَالِ هَذي القرْيَةِ بِالصّدْق لاَ بالفريةِ
قدْ صَـالَ فيهَا الظَّالِمُ وهَـان فِيهَا العالِمُ
خُرّبَتِ المـسَاجِـدُ وقلَّ فيـها السَّاجِدُ[4]

ومن خلال هذه القصيدة التي جاءت في لون رثائي كئيب ومحزن، يتبين لنا أن البوني كان مدركا لمآلات الوضع الصعب[5]، الذي كان يعيشه العلماء والفقهاء. وتقاسم مع الشيخ اتلقسنطيني عبد الكريم الفكون كثيرا من المشاعر والتوصيفات المشتركة لعلماء الفترة العثمانية، منها ضعفهم العلمي وقلة تدينهم، وضعف أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقبالهم على الدنيا وزخارفها. ومسعاهم لدار السلطان لنيل الحظوة والمكانة الرفيعة[6].

وكان البوني اشترك كما كان علماء ونخب زمانه فيما انتشر ذلك الوقت من أدب الألغاز حيث يقول "ابن حمادوش" في رحلته أنه وقع لديه كتاب للشيخ البوني في تأليف الألغاز شعرا، وكان الهدف منها التسلية والتحدي وذكر ذلك ابن حمادوش في رحلته[7]..

وتناول الرحالة المغربي "الجامعي" الحديث عن "البوني"، ووصفه بكثير من أوصاف الصلاح والفهم والإدراك، وذكره كفقيه راغب في إصلاح شؤون قومه وأمته، حيث قال فيه :"وكان لا يكتم العلم وينشره ويقدمه لكل طالب"[8].

وكانت أواخر العهد التركي جلبت معها بذور الفناء والانقراض حيث ارتكب النظام السياسي التركي في الجزائر منذ اوائل القرن 19م عدة أخطاء جسيمة أطلقت العد التنازلي لزوال إيالة الجزائر. ويؤكد هذا القول "سيمون بفايفر" بقوله أن "الداي حسين" رفض الأخذ بالتجديد والتطوير في دولته، لأن ذلك في اعتقاده يعد

---

4 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، المرجع السابق**، ص66.

5 – سعد بو فلاقة، "أحمد البوني وكتابه التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف" في **مجلة التراث العربي**، إصدار اتحاد الكتاب العرب، العدد 93 و 94 ، دمشق، سوريا، مارس أفريل 2004 .

6 – أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص74.

7 – ابن حمادوش، **المصدر السابق**، ص130.

8 – ابن ميمون الراشدي ، **المصدر السابق**، ص 54

"تقليدا للكفار"، بعدما رفض طلبا من السلطان العثماني يأمره فيه بتجهيز الجيش على الطريقة الأوروبية9، وقال للرسول :"إن احترامه لقوانين آبائه وأجداده وتقاليدهم أكبر من أن يسمح له بتقليد تجديدات الكفار"10.

وكان الداي حسين يمثل حلقة ضعف وفشل في أعلى هرم الدولة ساهم بصورة كبيرة في ما آلت إليها إيالة الجزائر سنة 1830، وجسّد نمط النظام السياسي المنغلق على ذاته.

ورافق فترة حكمه ظهور عدة أزمات محلية ودولية، منها تجدد النزاع مع تونس سنة1820، العرب "يحي أغا" في 1825م، ونهب العديد من منازل البعثات القنصلية بعنابة11، مما أثار حفيظة الغربية التي عزمت على حماية منطقة عنابة مهما كلف ذلك واعتبارها موقعا استاراتيجيا لا يجب التفريط هذا الإطار تم في سنة 1820م توقيع معاهدة بين الإيالة وفرنسا بوساطة القنصل "دوفال"، وفي سنة بدأت آخر أزمة سياسية مع فرنسا والتي انتهت باحتلال الإيالة واجتثت النظام التركي من جذوره.

التعريف بالمؤلفين:

الكتاب الأول:

يقع التأليف الأول مذكرات الجنرال الفرنسي دارماندي12 في نحو 54 صفحة وهو بدون عناصر ماعدا احتواؤه على مقدمة تطرق فيها للهدف من هذه الترجمة وكيف استطاع الفرنسيون تحقيق هذا الانجتاز الظخم المتمثل في احتلال عنابة.

وقدم هذه المذكرات وحوصلها الجنرال الفرنسي ايدوارد شربون نيسيفور **Nicéphore;Aimé Prosper Édouard Chérubin** سنة 1882 ونشرها اولا في مجلة لابروطاني وفاوندي **la Revue de Bretagne et de Vendée** في سبتمبر من نفس السنة .

---

9 – شرع السلطان سليم الثالث في تجديد الدولة العثمانية أوائل القرن التاسع عشر ببناء مدرسة عسكرية حديثة على النمط الأوروبي، وكلية للهندسة لتدريب الجيش الانكشاري، لكن النخب العسكرية المحافظة رفضت هذا التجديد وتمادى الجيش الانكشاري في رفض الإصلاحات وأعلن العصيان على السلطان، فما كان من السلطان إلا أن قضى عليه بعدما صار عبئا على الدولة. انظر ،عبد الحميد أبو سليمان، "الحياة الفكرية في الولايات العربية في العهد العثماني" في **المجلة التاريخية المغربية** العدد 57-58 ص 45-54.

10– سيمون بفايفر، **مذكرات سيمون بفايفر أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تر أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.) الجزائر، 1974، ص 45.

11 – حمدان خوجة ، **المصدر السابق**، ص74.

12 – Les Memoires de M. le général d'Armandy. La prise de bone en 1832.

وبويسون دارمندي ضابط فرنسي ولد سنة 1794 التحق بالكلية العسكرية الشهيرة سانت سير سنة 1812 قاد الحملة الفرنسية على منطقة الشرق الأوسط وفي 1828 عين نائب قنصل ثم ارسل للجزائر لاستكمال احتلال عنابة سنة 1831 وظل كذلك ممارسا للقيادة العسكرية حتلا انسحابه من الحياة السياسية سنة 1842 ومات في 1873.

يقول صاحب المذكرات : نحن نأمل أن نسعد قرائنا بوضعنا أمام أعينهم جزء من مذكرات السيد الجنرال دارماندي. سوف يقرؤون بدون شك بكل سرور الحساب المؤثر للأحداث الدرامية التي أدت في عام 1832، إلى احتلال فرنسا لعنابة بشكل نهائي. لقد مرت خمسون سنة منذ أن تحققت هذه الحقيقة التي ظلت كالأسطورة بحق، ومن المثير للاهتمام أن نسمعها من راو كان له شرف الإنجاز.

ففي 5 جويلية 1830، بعد معارك مجيدة والاستيلاء على استسلم حصن الإمبراطور مدينة الجزائر بالاستسلام له الجيش الفرنسي.

سيقدم تقريرًا عن هذا التحول الرائع غدًا إلى وزير عبر عن نفسه بهذه الطريقة: "لا أعرف في أي صفحة صفحة من تاريخنا ارجع للأعلى للعثور على مثل هذا العمل الشجاع. بالحديث عن هذا الإجراء ، قال المارشال سولت من المنصة أنه كان أفضل عمل فني لدينا قرن. (شاشة حتى إلى البليدة، أرسل سرية تحت أوامر من الجنرال دامريمونت بالذهاب والحصول على موطئ قدم عظم.

استقبل سكان بون القوات الفرنسية بفرح. الجيوش التي رأوا أنها قادمة لحمايتهم من انتقام باي قسطنطينة أحمد الذي ظهر بينهم، وحسن باي وهران، الرجل المسن الذي اشمئز من السلطة، ومال إلى الخضوع لفرنسا. أرسله المشير أحد أبنائه ليتلقى تقديمه، ولم ينتظر قال أكثر من القوات التي طلبها من والده للاستيلاء على المدينة والحصون التي تقريبًا وهران الجديدة؛ لكن البعثة الفرنسية بالكاد وصلت ميناء المرسى الكبير. حتى عُرض على باي حسن قيادتها. لكنه رفض قائلاً إنه نظر إلى نفسه قريباً أقل، لا يزال تابعًا لملك فرنسا. فأسلمت المدينة في سبتمبر 1831 للجنرال بوبير، الذي لتولي حكومة ولاية وهران. نفس الحدث الذي حال دون احتلال وهران ج 1830 حفز على احتلال بونة دون قتال مثلما ذكر الجنرال دام ريمونت والمارشال دي بورمون.

بعد أن أراد تركيز كل قواته في الجزائر العاصمة من أجل ذلك قادرة على إعادة الجيش إلى فرنسا لمساعدة حكومة تشارلز العاشر وقد نسبت هذه الحركة التراجعية إلى الخوف من قبل العرب الذين لم يتوقفوا عن مضايقة الحاكم الفرنسي طوال فترة إقامتهم في بونة، حيث لا بد أنه كان لديه ومن أسوء النتائج على سكان هذه المدينة 581 لا فائدة منها

للملك الذي ترك مملكته في 2 سبتمبر 1830، تم إطلاق أول سفينة تحمل الخليفة

ظهر المشير في ميناء الجزائر العاصمة. وفي نفس اليوم الجنرال. تلقى كلاوزيل القيادة من يد سلفه الذي غادر الجزائر العاصمة في اليوم التالي على متن سفينة نمساويةتم نقله مع اثنين من أبنائه إلى ماهون حيث كان يرغب الذهاب.

بعد أن تم تنصيبه بالكاد، فكر الجنرال كلاوزيل في توسيع الهيمنة الفرنسية ونقلها إلى ما وراء الأطلس. ها الحملة إلى المدية، احتلال هذه المدينة، بعد أ معركة صعبة ومجيدة لإزالة تمريرة موزاية للعرب الذين دافعوا عنها بشراسة، تقريبا الحدث المهم الوحيد في حكومة هذا الجيل رال. تم استدعاؤه في فبراير 1831.

الكتاب الثاني:

يضم الكتاب 392 صفحة وهو من تأليف والجنرال كورنيلي : **La Prise de Bône et Bougie, le général comte de Cornulier Lucinière** ويضم الأقسام التالية:

القسم الأول: يحتوي على :

احتلال بونة من طرف القائد الفرنسي دامريمون في جويلية 1830.

انسحاب القوات الفرنسية من عنابة

احتلال عنابة من طرف قبائل زواف

دخول العرب والأتراك المدينة

القسم الثاني: ويحتوي

إرسال سفينة البيارناز العسكرية الحديثة إلى عنابة..

قدوم القبطان يوسف...

دخول يوسف إلى قصبة مدينة عنابة ....

قدوم القبطان بويسون دارماندي إلى عنابة وهو صاحب المذكرات الأولى...

التقاء يوسف بدارمانديي بقصبة المدينة.

أنباء عن الباي إبراهيم ومحاولاته التحالف مع الفرنسيين من أجل الإمارة...

بقاء دارمانديه في بونة.....

احتلال القصبة من طرف الجنرال يوسف المملوك...

مقاومة الأتراك والأعراب واحمد باي بسط النفوذ الفرنسي على المدينة...

التوسع في منطقة السيبوس ...

مقتل الجنرال مونط ديزار والتشريفات والمكافآت التي نالها القادة نظير هذا النجاح.

وللإشارة فإن الكتاب هو عبارة عن نسخة ملخصة للمذكرات سواء بالنسبة للتأليف الأول أو الثاني، وقد طبع التأليف الثاني سنة 1895.

مجريات احتلال المدينة من خلال التأليفين:

بعد احتلال الجزائر وقعت فرنسا اتفاقا مع باي تونس مكنها بمفردها ودون دفع اي ضريبة لأحد من صيد المرجان من حدود الممتلكات الفرنسيو حتى راس الناقر **cap Nègre** ما يدل على نشوة النصر والتخلص من عقوق الماضي.

كان رومبارت **Raimbert** هو المسؤول على هذا النشاط وعلى المصرف منذ 1795 وباسم الشركة الإفريقية وربط علاقات قوية وطيبة مع الأهالي، انسحب إلى مرسيليا يترقب بعد 1803 وبعد نجاح الحملة في 1830 اتصل بالاهالي بعنابة محاولا استثمار علاقته القديمة والتمهيد للعودة.

كان له تأثيرا كبيرا في دخول حملة 1830 وقائدها إلى ميناء عنابة ومدينتها.

عين فيما بعد من ضباط الحملة المترجمين في الجيش الفرنسي.

كانت مدينة عنابة حتى قبلة الحملة مدينة غنية بموقعها وثرواتها وتجارتها الجلود والأصواف وخاصة الحبوب التي أنقذت كثيرا سكان فرنسا المطلين على المتوسط.

وكان التجار الغربيون يقدمون مكان هذه السلع الأسلحة والذخائر الحربية. هي مدينة بيد مفاتيح بايلك الشرق. وعلاقتنا كما يقول الكاتب بهذه الجهات قديمة وقد سبقنا الاوروبيين في ربط علاقات تجارية مع سواحل بونة. وكان للسكان تالف مع الرعايا المسيحيين وعاداتهم وهذا ما منح سكان الجهات نوعا من الالفة والتسامح مع العناصر المخالفة.

كان عدد سكان المدينة 1500 فرد عشية الاحتلال. ولقد دفعت اجواء الوضعية الجديبدة التي الت اليها الايالة بعد 1830 السكان إلى معارضة احمد باي والحفاظ على نوع من الاستقلال الذاتي بالتوسط بالفرنسيين. حيث تشكل مجلس اداري محلي وشرع في الاتصال بقادة الحملة الفرنسية وديبرمون.

وتشكل المجلس الاداري الجديد من الشيخ زروق سيد الشيخ وسي احمد بن سيدي الشيخ والقاضي سي حسان والقاضي السابق سي رجم بن راضية.

ولما علم احمد باي بالمستجدات بعث رسول يطلب دخول المدينة والتحالف معه لكن طلبه قوبل بالرفض. كما رفض التماسه الحصول على كميات من الذخائر الحربية.

لقد كانت الحامية التركية كما يقول بوياك غير مرغوب فيها في المدينة وربما يعود هذا مثلما استنتج الكاتب لسقوط هيبة الاتراك بعد احتلال الفرنسيين مدينة الجزائر سنة 1830.

يقول بوياك انه حينما تم تعيين الجنرال بيرتيزين مكان دامريمون قام بحملات تامين الاتصالات بجنوب مدينة الجزائر فعبر منطقة متيجة وبلغ مدينة المدية التي دخلها دون مقاومة وعين فيها حامية فرنسية، وفي المتيجة قام بحملات تاديب مشروعة رغم قساوتها للقبائل المتمردة[13] سماها **juste sévérité**

13 – يقصد الكاتب هنا قبائل العوفية التي ارتكب فيها مجازر مروعة لا تزال شاهدة على الحقد الفرنسي وهمجيته.

كان الجنرال بيرثيزين، الذي جاء ليحل محله، قد قاد فرقة أثناء الغزو. وكان أول عمل له عند وصوله هو تنظيم بعض التفاصيل الإدارية وتنظيم الخدمة الجمركية. ثم فعل بعض الرحلات في المتيجة حيث تم تأديبها مع استعمال بعض شدة، حيث عدة قبائل اعترضت الاتصالات مع الداخل. وفي المدية غادرت الحامية الضعيفة بواسطة الجنرال كافينياك.

وكانت حملة 26 جويلية 1830 كانت بقيادة دامريمون وتضم 2500 جندي و08 سفن وفرقة للهندسة والمدفعية وعند نزولها وجد الفرنسيون الظروف مهياة لاستقبالهم من طرف الأهالي بفضل سياسة رامبوت فاستقبلت القوات الفرنسية في المدينة بالاطعمة الطازجة والمياه غير ان دام ريمون كان ينظر بعيدا حيث احتل المناطق الهامة في المدينة كالقصبة وباب قسنطينة والطريق المؤدية اليها وكانت كل القبائل المجاورة اعلنت حالة النفير والجهاد ضد المحتلين في نفس ذلك المساء، في الساعة الحادية عشرة والنصف، حدث هجوم غاضب، ولكن الجنرال دامريمونت كان كذلك تم تحذيره من قبل سكان بون وجنودنا كانوا على حراستهم. وعلى الرغم من البنادق والطلقات، تقدم العرب إلى حافة خنادق المعقل، وأظهروا حقيقة بشجاعتهم، لم ينسحبوا إلا عند الفجر، بعد سبع ساعات من القتال العنيف. وكان القائد فوكو، الذي كان يوجه المدفعية، على محمل الجد يؤذي. لكن خسائرنا لم تكن كبيرة. لأن جنودنا مغطون بالتحصينات، حيث كانوا أقل عرضة للخطر من المهاجمين. العادة إزالة موتاهم منعتنا من تقييمهم رقم ; ولكن لا بد أن خسائرهم كانت خطيرة، لأنهم ظلوا متوقفين عن العمل لمدة يومين. منذ إطلاق سراح السادس، صمدت قواتنا على الدفاع. ليس الأمر أن جنودنا لم يفعلوا ذلك فضل البحث عن العدو، لكن الجنرال دامريمونت لم يكن يعلم أن التهيج قد حدث هذه الطبائع المتحمسة من خلال عدم عاطفتنا، سوف تترجم من خلال بعض المحاولات اليائسة التي من شأنها أن توفر له الفرصة لتلقينهم درسًا قاسيًا ونهائيًا. لقد بررت الأحداث توقعاته. عرب السهل، الذين أهلكتهم المعارك الأخيرة، قررت مناشدة سكان إدوغ وسرعان ما رأينا صفوف هؤلاء متسلقي الجبال الوعرة.

الخروج إلى الوادي.

لقد تظاهروا في هذا الظرف من هذا المثابرة التي يبدو أنها تنتمي بشكل خاص

إشارة إلى العرق البربري؛ وفي الواقع، كان جميع المهاجمين من سكان المرتفعات من إدوو والمناطق المحيطة بها في ستورا.سكيكدة..

كان هذا الهجوم الساخن هو الأخير. ومن بين جثث القتلى العرب تعرفنا على جثة صهره من باي قسنطينة. ومن جهتنا، كان علينا أن نفعل ذلك نأسف لمقتل اثنين من المدفعية وهو رقيب 49 وجندي من السادس. الجنرال دامريمونت لم يفعل ذلك منذ تلك اللحظة فصاعدًا لقد فكرت أكثر من استعادة النظام في المدينة، من خلال جعل الخدمة الإدارية القديمة متناغمة مع النظام فكر في الاحتلال. وكان حريصا على عدم التغيير السلطات التي وجدها عندما هبط؛

لقد نجح الجنرال دامريمونت، من خلال سياسته الحكيمة، في تحقيق ذلك مما لا شك فيه أن الهيمنة الفرنسية الموحدة في مقاطعة إذا، للأسف، أحداث لم يأت شهر يوليو لتدمير النتيجة التي تم الحصول عليها. هناك وسرعان ما عُرف سقوط شارل العاشر في الجزائر العاصمة؛ لقد صدمت المارشال دي بورمونت بالدهشة. متجاهلاً نوايا الحكومة الجديدة رأى أنه من الضروري أن يجمع تحت يده كل شيء قوات من الجيش الأفريقي للاستعداد للاحتمالات. من خلال استدعاء قوات التدخل السريع في العظام ووهران قصد المشير، كما قال البعض، وكان من المقرر إشراك الجيش الأفريقي لضمان ذلك انتخاب دوق بوردو. وآخرون لم يريدهم ليحشد كل القوى المتاحة له احتفظ بها جاهزة للشحن تحسبًا لأي شيء.

وباحتلال مدينتهم تحملنا مسؤولية أمنهم في المستقبل، ورحيلنا سلمهم. خفضت إلى بهم القوات الخاصة، إلى الانتقام الذي لا يرحم من باي أحمد. وصل أمر المغادرة يوم 18، وهو نفس الشيء في أحد الأيام، قام سرب الأدميرال دي روزاميل، الذي كان عائداً من طرابلس، بإلقاء المرساة أمام بون. كان البحر هائجًا جدًا، وكان نقل المعدات تشكل المدفعية الموجودة على متن السفن خطراً حقيقياً. ومع ذلك، نجحنا كثيرًا من الوقت والجهد. القوات لم تبدأ صعودهم حتى مساء يوم 20. العقيد

كان على ماجنان، الذي كان يقود سرايا النخبة، أن يفعل ذلك لصد هجمات العرب الذين احتلوا مواقعنا تدريجياً أن نتخلى عنهم. انطلقت هذه الشركات آخر مرة في يوم 21 الساعة الحادية عشرة صباحًا. لقد ساعدنا السكان بإخلاص هذه العملية الصعبة، وحتى في اللحظة الأخيرة، قدم لنا دليلا صارخا على صداقتهم كثير من جنود الزواف الت وكان من نتائج هذه النكبه عزل الجنرال بارتيزان وتعويضه بالذوق وكان من مهامه ترويض هذا الشعب الذي منذ القديمحقوا بالاهالي بعد فسل الحمله الاولى الاحتلال عنابه وعوده السفن الفرنسيه الى مدينه الجزائر وهي تحمل خيبتها

وكان من مهامه اخضاع هذا الشعب الذي كان منذ القديم لا يخضع الا لمنطق القوه وبقدوم قامت حمله جديده لمحاوله احتلال ميناء عنابه حيث افشلتها الجيوش علي بن عيسى وزير احمد باي وقد دفع هذا غريمه ابراهيم باي الى طلب مساعده القوات الفرنسية.

وبعدما وضع يده على العاصمة شرعه في اخضاع وارسل حمله الاحتلال عنابه بقياده الجنرال دامريمون استقبلوا بفرح وسرور الجيش الفرنسي حيث اعتبره منقذا لهم من انتقامات احمد باي.

وفي وهران كان حسن باي الطاعن في السن سائمه من السلطه وكان مستعدا للخضوع لفرنسا فارسل احد ابنائه اهلا لكن احداث ثوره جويليه في 1830 في فرنسا غيرت الحسابات حيث اعاده العساكر الفرنسيين الى مدينه الجزائر.

وكان لهذه الاحداث اثرها في عنابه التي كانت خاضعه لحاميه فرنسيه حيث استدعت القوات الفرنسيه الى القدوم الى مدينه الجزائر لحمايتها من اي طريق وكان لهذا الانسحاب اثر كبير في نفوس الاهالي والعرب حيث اعتبروا ان الفرنسيين انسحب لذاتهم.

تلقت **Béarnaise** الأمر من **M. d'Armandy** بمغادرة الميناء إلى**Bone** مع مدفعيه ونواب بون والأرجوحة. هي ينبغي بعد ذلك اذهب إلى تونس مع الكابتن يوسف بحجة وضع أسس شراء الخيول.

الكابتن دارماندي، الذي كان حاكمه العام قام بالاختيار لتكليفه بهذه المهمة الخطرة، كان ضابط مدفعية تم عزله من عمليات تفتيش الجيش عام 1825 ووُضِع تحت مراقبة الشرطة بسبب ارتباطه بالإمبراطور، فاضطر إلى الهجرة والبقاء بعيدًا عنه عائلته وفرنسا حتى عام 1831، عندما كان كذلك أعيد إلى المدفعية. خلال الستة عشر عاما الماضية في المنفى، سافر إلى جزء كبير من آسيا وهناك وقد اكتسب هناك معرفة باللغة العربية ولغة أخلاق وعادات الشرقيين. وصل إلى الجزائر العاصمة فقط منذ 20 يناير تم إلحاقه بهيئة الأركان العامة لدوق روفيغو.

بعد تسعة أيام من العبور، وصلت البيرنيز إلى وفي المرة الثانية وأسقطت المرساة، في صباح الثاني من فبراير، خارج العظام. مباشرة بعد الرسو، ذهب النواب إلى الشاطئ ليعلنوا لإبراهيم بك ومواطنيهم وصول القنصل، وهو اللقب الرسمي الذي يطلق على القبطان دارماندي، والتحضير لاستقبال هذا الممثل من فرنسا. وفي فترة ما بعد الظهر، كان برفقة جميع الموظفين ذهب المركب الشراعي والكابتن يوسف إلى الشاطئ، وكان في استقباله وفد مرسل من القصبة ومن قبل جزء كبير من سكان المدينة الذين ضغطت لرؤيته. تحرك القنصل، متبوعًا بموكبه، نحو القصبة، وهي قلعة محاطة بأسوار جيدة الصيانة ومسلحة بـ 43 قطعة مدفع. إنها تسيطر على المدينة ويطل عليها بحوالي 60 مترًا تقريبًا. إبراهيم لم يخرج قط من سياجه، حيث يستطيع أن يحمي المدينة ويحافظ عليها في الطاعة التي فرضها عليها منذ وصوله إلى هناك.

تأسست مع حوالي 150 من الأتراك والعرب الملحقين بها حظ. هذا العثماني، ماكر وقاسٍ، كما كان يعلم ثبت في نهاية العام السابق، كان السيد الحقيقي بواسطة العظام. وسرعان ما عبر القنصل وموكبه نهر باب القلعة ووجدوا أنفسهم في حضرة هذا التركى لا يزال مغطى بدماء القائد هودر ورفاقه جنود. كان في ديوانها، عبارة عن غرفة كبيرة إلى حد ما في منزل يقع في المعقل الشمالي للقصبة. يمكن اعتبار هذا المعقل بمثابة ملاذ للقلعة، لأنه كان كذلك أعلى من بقية المتوسط؛ تم فصله بواحد الجدار سميك جدًا وقادر على الدفاع الجيد؛ لم نتمكن من الوصول إليه فقط من خلال قبو طويل إلى حد ما، مغلق بباب سميك.

يقول دارمانديه عن إبراهيم بك، الذي أحاط نفسه بكل الأبهة التي لديه أنه كان من الممكن نشرها، وكان الرجل قد تجاوز في الخمسينيات من عمره، طويل القامة وذو بنية رياضية. علامة. وجهه مزين بلحية طويلة بدأت ليتحول إلى اللون الرمادي، وكان لديه سمات عادية كبيرة إلى حد ما لشعب أمته. عينيه السوداء الكبيرة، بعمق الضغط تحت أقواسها مفروشة بالحواجب الكثيفة، ولها فم، يمكن أن تكون مخفية تقريبًا بشوارب كبيرة تعطي فقط إشارة طفيفة إلى عنف العواطف و شخصية هذا الرجل. زيه

وكل ما حوله أكد هذا الانطباع فقط. كان يرتدي الزي التركي القديم، وكان يرتدي زوجًا طويلًا مسدسات و **yatagan**مثبتة بالفضة. سيفه متساوي بغلاف فضي، كان بالقرب منه، على الأريكة حيث كان كان يجلس مع ساقيه عبرت. فوق رأسه هاكلي بحافة حادة، يعلوها رأس حربة، و**Jusil au** برميل ذو طول غير عادي، بما في ذلك الخشب والمخزون تم تزيينها بتطعيمات في أم اللؤلؤ. هذين الأسلحة تتطلب ذراعًا قوية لاستخدامها، ولكن لا بد أنها كانت فظيعة.

وكانت محاولات القنصل الفرنسي مع ابراهيم باءت بالفشل لأنه كان يشك في كل نوايا فرنسا. لكنه اضطر إلى قبول الشروط التي عرضت عليه. ليحصل على المواد الغذائية والبسكويت ودقيق القمح والارز لكن المدينة كانت تضم حوالي 5000 نسمة. ولم تكن تكفيهم المؤونة كلهم.

وبعد استسلام المدينة، كانت هناك حاجة إلى 150 إلى 200000 حصة إعاشة. لكن ميناء بونة ليس يعمل خلال فصل الشتاء.

في ليلة 4 إلى 5 مارس، حوالي الساعة العاشرة مساءً، إحدى جاء أولئك الذين أصبحوا ضيوفه يركضون ويحذرونه من ذلك تم تسليم المدينة و الذي قدمه جنود بن عيسى من قبل المفتي في داخل المسجد الكبير، في وقت قريب عدم النزول نحو البوابة البحرية.

بدا هذا الخبر مستحيلا للقنصل في البداية، لأنه لقد جاء من تمر، قبل لحظات قليلة، في منطقة

المسجد الكبير الذي بدا له صامتًا مثل المسجد بقية المدينة. ولذلك كان على وشك المغادرة جديدة، لكي استفسر عندما وصلت الصراخ إلى أذنيه. ليس هناك لم تعد هناك أي شكوك ممكنة وكان من الضروري الهروب دون خسارة من الوقت. لذلك تم إغلاق باب المنزل بإحكام وتمكن الجميع من النزول بالحبل المعقود.

علي الآغا قائد خيالة باي قسنطينة.

قال المفتي والدموع في عينيه واعترف أنه ارتكب خطأ عظيما، مؤمنا للوعود التي قطعت له باحترام الحياة، حرية وممتلكات مواطنيه، لإلزامه بالتسليم المدينة؛ الوعد الذي هددنا بنسيانه عند تسليمه

للنهب، إذا رفض القنصل أن يأتي ويتحدث مع بن عيسى. وأكد القاضي والآخرون كلامه وانضموا إلى توسلاتهم إلى المفتي لحثه على قبول الدعوة الموجهة إليه، وقالوا إنهم وحدهم يستطيعون أن يصرفوا عن رؤوسهم المصائب التي كانت تهددهم.

لقد كان احتلال عنابة نهائي وحاسم وفي 15ماي 1832 حملت الفرقاطتين ديدون **Didon** وكاليبسو **Calypso** من فرنسا إلى عنابة نحو 1200 جندي لضمان التحكم في المدينة ومختلف أحيائها تحت امرة الجنرال مونك **général Monk**.

وعند دخول قصبة عنابة وجد الفرنسيون 43 قطعة مدفعية و30000كلغ من البارود ، وعند عودة سفينة القتال التي كان لها فضل في حصار ميناء عنابة أمر الحاكم العام أن تحي ب15 طلقة مدفعية عند دخولها

ميناء الجزائر وقام بالنزول على سطح الفينة لتقديم التحية والشكر لفريقها على مجهوداتهم الجبارة وكان ذلك في 13أفريل141832.

احمد باي وطموحاته.

شارك الحاج أحمد باي منذ الوهلة الأولى في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية العسكرية ، وانتقد الخطة الدفاعية التي عرضها الأغا إبراهيم لما رأى فيها من سلبيات ، وقدم عوضها خطة ترمي إلى دحرجة القوات الفرنسية بعيدا عن مدينة الجزائر إذ يقول: "... وإذا وثقتم بي واتبعتم خطتي فإننا نتجه إلى وادي مازفران ، وعندها يقع أحد الأمرين: إما أن يهاجم الفرنسيون مدينة الجزائر وإما أن يسيروا نحونا ، ففي الحالة الأولى تنقض على مؤخرتهم فتأخذ مؤونتهم ، وتهاجم قوافلهم فتقتل المتخلفين وتعمل على قطع الاتصال بينهم وبين مراكبهم ، وهذه النقطة الأخيرة سهلة جدا لأن البحر يتغير و لا يسمح دائما بالنزول ، أما إذا ساروا نحونا ليشنوا علينا الحرب ، فإن واجبنا هو أن تتجنب المعركة وتجر جيوشهم إلى ميدان ملائم، وبعيدا عن مدينة الجزائر التي هي هدف مشروعهم " غير أن قائد الجيش الأغا إبراهيم صهر الداي أصر على رأيه رافضا خطة الحاج أحمد باي ، مما أدى إلى تراجع القوات الجزائرية في معركة اسطاوالي في 19 جوان 1830 ، و فشلها مرة أخرى في وقف زحف جيش الإحتلال بعد معركة سيدي خالف في 24 من نفس الشهر .وبعد سقوط العاصمة وحسم المعركة عسكريا لصالح فرنسا، عاد الحاج أحمد باي إلى قسنطينة

وكانت استعدادات احمد باي لحماية الباليك خلال الحصار المطبق على مدينة الجزائر حثيثة حيث عمل احمد باي إلى اتخاذ التدابير المختلفة لضمان افشاله والحرص على سلامة السواحل والتواصل مع مختلف الجهات الساجلية وحكام الحاميات بها فراسلهم كما راسل مدينة عنابة وأعيانها وقادتها وشيوخها يدعوهم فيها إلى وجوب طاعة الداي حسين وحماية السواحل التي يقيمون بها.

ومن استعدادات احمد باي تعيينه عمار بن زقوطة حاكما على المدينة ونائبا له وطلب منه مراقبة الميناء وحركة السفن الداخلة اليه كما حذر من المساس بالفرنسيين واموالهم في المدينة ومن اراد منهم الخروج من المدينة فله ذلك كما اوصاهم بعدم ترك الفرنسيين ياخذون الجير والآجر والعمال من المدينة نحو القالة. كان ص134.

كما أرسل أحمد باي فرق الخيورسجية جنود الاحتياط من قسنطينة إلى عنابة مزودين بالخيم والمعدات الضرورية. ثم اتصل بالداي حسين يخبره بكل الاستعدادات التي اتخذت في البر والبحر من اجل مجابهة العدو.

[14] - المرجع نفسه.

وكانت المدينة مجهزة باسلحة دفاعية عبر خمس بطاريات تدافع عن مناطق الساحل والميناء ونحو 20 مدفع في تل جنوة. العلاقات التي كانت بين السكان والتجار الفرنسيين كانت قائمة على التجارة وتبادل المنافع ولم تكن علاقة ولاء.

وقد عينت الإدارة البايلكية في المدينة منصب قريب من حاكم المدينة يراقب المبادلات التجارية وانتقال وانتقال رؤوس الأموال يعرف بالمركانتي.كان يسكن المدينة كثير من القبائل المجاورة مثل مرداس ولهاصة صنهاجة وخرازة وبني ورجين وبني مُحَّد بالايدوغ.

إستراتيجية أحمد باي في المقاومة

اعتمد أحمد باي استراتيجية محكمة مكنته من تنظيم المقاومة ضد الفرنسيين، فأحاط نفسه برجال ذوي خبره ونفوذ في الأوساط الشعبية من قبائل وأسر عريقة في تحصين عاصمته قسنطينة وبناء الخنادق و الثكنات ، وأمر بتجنيد الرجال للمقاومة من جيش نظامي ثم أعاد تنظيم السلطة فنصب نفسه باشا خلفا للداي حسين ، ثم ضرب السكة باسمه وباسم السلطان العثماني ، محاولا بذلك توحيد السلطة التشريعية والتنفيذية خدمة للوحدة الوطنية و تمثل ذلك فيمايلي: – حاول الحاج أحمد باي أن يجعل من الشعب الجزائري والسلطان العثماني مرجعا لسلطته حيث انتهج مبدأ استشاره ديوانه المكون من الأعيان والشيوخ، ومراسلة السلطان العثماني واستثارته قبل اتخاذ أي موقف مصيري. – رفض كل العروض المقدمة له من قبل الحكام الفرنسيين في الجزائر. – محاصرة القوات الفرنسية داخل المدن الساحلية المحتلة مثل عنابة – مجابهة خصومه في الداخل وإحباط مؤامراتهم.

سياسة فرنسا في مجابهة أحمد باي

انتهجت فرنسا في مجابهتها للحاج أحمد باي سياسة مبنية على المزج بين المناورات الدبلوماسية و القوة العسكرية منها .

اللجوء إلى التفاوض مع الحاج أحمد باي و محاولة الافتكاك منه الاعتراف بالسيادة الفرنسية مقابل ابقائه بايا على قسنطينة ، و قد تكررت هذه المساومة في عهد كل من الجنرالات دي بورمون ، كلوزيل ، الدوق رو فيقو و دامريمون ، إلا أن الباي أصر على رفض تلك العروض .

تامر الجنرال كلوزيل مع باي تونس ضد الحاج أحمد باي.

التحالف مع خصوم أحمد باي من أمثال إبراهيم الكريتلي في عنابة ، فرحات بن سعيد في الزيبان .

تركيز القوات الفرنسية في جبهة واحدة ، بعد أن تلقت ضربات موجعة على يد الأمير عبد القادر، وفشلها في محاولتها الأولى في احتلال قسنطينة في نوفمبر 1836، مما دفعها إلى عقد معاهدة التافنة ولتتفرغ إلى الجهة الشرقية.

شنت فرنسا سلسلة من الهجمات على المدن الساحلية لبايليك الشرق منذ 1830 تمكنت خلالها من الاستيلاء على مدينة عنابة سنة 1832 رغم أستمائة قوات الحاج أحمد في الدفاع عنها .

تمثل مدينة عنابة بالنسبة للمقاومة التي يقودها أحمد باي الرئة الوحدية التي يتنفص من خلالها ويتصل بالعالم الخارجي.

وسقوطها شكل قطع شريان المدد الرئيسي على بايليك الشرق من الناحية البحرية و الحيلولة دون وصول الذخيرة و الأسلحة من السلطان العثماني إلى قسنطينة.

كما تسبب سقوطها في قطع وشائع الطاعة والولاء بينه وبين القبائل العربية في تلك الجهات.

وقع احتلال المدينة زمن الحاكم العام العسكري الجنرال دوق روفيغو. 1831-1833. وقد حاول احمد باي استرداد المدينة دون جدوى لوجود حركات مناوئة ضده في المنطقة 15.

وذكر دارماندييه أنه كتب إلى دوروفيغو يقول له اسحب جنودي من المدينة كما أمرتهم وليس خوفا من 30 جندي فرنسي حفاظا على صداقتنا. ويبدو أن الكاتب الفرنسي يبالغ في هذه المراسلة وهل كان أحمد باي فعلا يحتفظ بصداقة مع المحتل ومن أجل ماذا؟

ومن أسباب فشل أحمد باي في عنابة ثورة فرحات بن سعيد شيخ العرب القديم الذي كان يكن لأحمد باي كراهية كبيرة بسبب تفضيله خصمه وعدوه بوعزيز بن قانة، وقاد فرحات بن سعيد الثورة والتمرد من اجل السلطة ضد احمد باي من جهة وضد الأمير عبد القادر من جهة ثانية وضد الفرنسيين من جهة ثالثة. مما جعل سكان ناحية عنابة يشعرون بخيبة الأمل أياما قلائل بعد احتلاثل الفرنسيين مدينة عنابة واضطراب أوضاعها، كما يقول دارماندييه.

وسعى دوروفيقو إلى تأجيج الصراع بين مختلف الأطراف وفرض الضرائب على الميناء والأسواق المحاذية وتأسيس حاميات داخل المدينة

ولم تستقر الأوضاع بيد الفرنسيين حيث وبعد انسحاب نائب أحمد باي علي بن عيسى من عنابة في أواخر مارس 1832 هاجمت قبيلة صنهاجة مدينة عنابة يومي 05 و06 أفريل لكن مدفعية القصبة التابعة للجيش الفرنسي بددتهم وردت هجزمهم الذي سقط فيه عشرات المئات من القتلى.

وكان سياسة التفرقة القبلية من معالم السياسة الفرنسية في المدينة ففي الوقت الذي لحقت فيه الجيوش الفرنسية قبائل صنهاجة في تخوم المدينة وعملوا فيهم بالسيف والقتل كان القائد دارماندييه **Darmandy** يستقبل بحفاوة شيوح قبائل أخرى ويحدثهم عن المستقبل في ظل الحماية الفرنسية16.

أبرز الشخصيات التي ذكرها المؤلفان:

يوسف المملوك

---

15 – بورمضان عبد القادر، **المقاومات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي بناحية عنابة 2381-2381مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية 07.04. ماي 2022 جامعة الوادي حمة لخضر**

16 – G.De Cornulier. Lucinier, La prise de Bône et Bougie, 1832-1833 d'après des documents inédite, plethie lieux, Librairie Edition, paris p. 1837, p24.

يوسف المملوك يعد من أكثر الشخصيات التي أمعنت في احتلال عنابة بحقد وضغينة نظرا لتركيبه المعقد ونشأته الغامضة وأصله المقطوع، فقد قيل عنه أنه من أصل إيطالي ولد بجزيرة ألب سنة 1800 من أبوين مجهولين بعدها تعرض للخطف علة يد قراصنة تونسيين ثم بيع كخادم في قصر الباي ببباردو وهناك عرض لأحد حريم الباي حيث زنى بابنة الباي ولما افتضح امره ساعده دوليسيبس للهروب إلى الجزائر ايام الاحتلال وهناك قدم نفسه لدوبرمون وعرض عليه العمل في سلك الضباط المترجمين تقلد منصب قائد شرطة العرب ثم رئيس فرقة خيالة وكان له دور خطير في احتلال عنابة17

وروايات اخرى تقول ان القنصل الفرنسي دو ليسابس في تونس تمكن من تهريبه من السجن وأخذه على فرنسا ثم إرساله إلى الجزائر، ولعب دورا كبيرا في الاحتلال الفرنسي لعنابة وظل يتمتع بالحصانة والذكمر والتمجيد في الجيش اللفرنسي حتى وفاته سنة 186718.

إبراهيم باي الكريتلي

تركي الأصل ولد في جزيرة كريت وسط البحر المتوسط شغل قائدا للحراكتة ثم عين بايا على قسنطينة من 1821 إلى 1824 وقف مواقف متذبذبة من الحملة الفرنسية حيث فر إلى المدية ثم عاود المجيئ إلى قسنطينة محاولا القضاء على نفوذ احمد باي ثم فر إلى تونس بعد سقوط الجزائر في 1830 ثم عاد منها إلى عنابة قبيل الحملة الثانية للقائد هودير)Huder(في سبتمبر 1831 تقرب من الفرنسيين بادئ الأمر آملا في أن يجعلوه حاكما على المدينة19، لكن الفرنسيين رفضوا وحاربوه كما حاربه احمد باي واخير انسحب إلى المدية حيث لا تازال توجد حامية من الكراغلة وبقي هناك حتى وفاته سنة 1834. وتقول كتابات اخرى انه بعد سقوط المدينة فر إلى البادية وظل هناك حتة وفاته20.

من الذين لعبوا أدوارا أساسية في ضعف المقاومة وسقوط المدينة الباي السابق لقسنطينة إبراهيم الذي يقول الكاتب فيه أنه كان شرها لحب السلطة وفي قصبة المدينة أطلق النار على جنديين من جنوده، وبعد دخول المدينة كتب دوروفيغو لارماندييه لقد بعثت لك مفاجأة مجيبا على رسالتك المبعوثة في 24 مارس الفارط هذه السفينة التي كانت تحت الاشرعة الممدودة حينما حملت غلي أنباء سقوط عنابة بيد قواتنا وبلغني بطولة رجالنا في دخول المدينة ومقارعة الجيش التركي خاصة فرقة المدفعية بقيادة القبطان هافتي **le capitaine Huphty** حيث استبسل 120 جندي من فرقته في تحطيم الحامية التركية. هؤلاء الجنود المنظمون الذين يجسدون الجيش المتحضر ومتسلحين بالإرادة القوية للنصر قد حققوا أكبر انجاز بعد سقوط عاصمة الإيالة بأيدينا في سنة 1830. وكان

---

[17] للمزيد انظر هنري غارو ص174.

18 – Henri Garrot histoire général de l'Algérie, imprimerie Crecenzo, Voutes, Bastion Nord, Alger, 1910

19 – Charles Fereaud, Documents pour servis l'histoire de Bône, revue Africaine N° 17 les presses de l'office des publications universitaires Aller, 1873

20 – De Mont Rond, histoire de la Conquête de l'Algérie de 1830-, Tome 1, imprimerie de E. Manc Aunel, Edition, 1847

الأتراك بلا هوية ولا لباس حربي زمثقلين بالتعب والهزيمة المعنوية. لقد قدمتم كل ما تقدرون عليه وجسدتم المثال القائل: **Aux grandes situations, il faut de« grands courages.** كونوا حذرين واليكم مني وافر الاحترام21.

علي بن عيسى

علي بن عيسى ولد سنة 1782. ببني فرقان شرق جيجل، أستقر مع عائلته بقسنطينة، أشتعل سقوط الجزائر عينه احمد باي نائبا عنه على عنابة لكنه فشل في تنظيم المقاومة فانسحب إلى قسنطينة سقوط هذه الاخيرة سنة 1837 وتشتت المقاومة اقترب من الفرنسيين وطلب الامان فعينوه خليفة عنهم على منطقة الساحل سنة 1838، لكنه كان كارها للمنصب ولتمثيل السياسة الفرنسية حيث انهارت مكانته الاجتماعية وصار ينعت بالخائن العميل وصار الناس يتجنبونه بعدما كان رمزا للكفاح وأمام ذلك أتهم بتزوير صك النقود فحكم عليه ب20 سنة سجن ثم بعد مدة تدخل الملك لويس فيليب وعفا عنه وظل يهوم على وجهه بين المدن والقرى متسولا لقمة العيش ومات في سنة 1842 في حالة فقر وبؤس شديدين22.

خاتمة:

تميزت هذه الكتابات التي تناولناها من المؤلفين بجملة من الخصائص منها:

تفكيك البنى الاجتماعية للمدينة إلى عدة طبقات متصارعة وغير متعاونة ومتحالفة حول المقاومة..

تقزيم دور أحمد باي في مقاومة الفرنسيين بالمدينة وتغييبه تماما عن المشهد.

تصوير المدينة وسكانها في صورة تختلف عن صورة القبائل المحيطة بها في تقبل الواقع الاستعماري الجديد وإظهار التعاون والوئام مع الفرنسيين.

وصف المقاومة ورموزها والقائمين عليها باوصاف التطرف والعنف

تبرير الأعمال العدائية الفرنسية واعتبارها قوة مفرطة مشروعة لتحقيق السلم والأمن.

استعمال عدة مصطلحات لتفكيك بنية المقاومة ومشروعيتها منها الكره الأصولي **haine fanatique** شرعية تأمين البلاد والمواصلات وغيرها.

---

[21] رسالة الدوق دوروفيقو مؤرخة في 1832/04/04. المرجع السابق، ص43.

22 – عبد الحميد زوزو تقييدات بن عيسى عن حصار قسنطينة، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، العدد 67، السنة 1979، ص6